



في رحاب التّوراة

دراساتٌ وجِواراتٌ روحانيةٌ مُعمّقة في النّصوص التّوراتيّة الأسبوعيّة مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:
[Covenant & Conversation](#) | [Tazria](#) | [The Plague of Evil Speech](#) | [The Rabbi Sacks Legacy](#)

"تَزْرِيعَ - مِصْرَاعَ" هو نصّ مكوّن من نصّين اثنين هما النّصّ الرابع والخامس من النّصوص الأسبوعية من كتاب "فَيَقْرَأ" (أي سفر اللاويين)، وهما يُقرءان في الأسبوع نفسه لأنه كلا النّصّين يتطرّقان إلى القصة الكاملة لموضوع المرض الغامض الذي أطلقت عليه التّوراة وصف الـ"نصاراعات"، وهو مرض يجعل من يصاب به غير طاهر من ناحية روحانية. يبدأ نصّ "تَزْرِيعَ" من الآية الأولى من المقطع الثاني عشر، وينتهي بالآية التاسعة والخمسين من المقطع الثالث عشر. أما نصّ "مِصْرَاعَ" فيبدأ من الآية الأولى من المقطع الرابع عشر، وينتهي بالآية الثالثة والثلاثين من المقطع الخامس عشر.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

آفة النّميمةِ ورَمِيِ الآخِرِينَ بِالْباطِلِ

وضّح حاخاماتُ اليهود التفسيرَ الأخلاقي لما يُعرف بظاهرة الـ"نصاراعات" باللغة العبرية (بمعنى البرص أو الجذام) باعتبارها تحلّت حيزاً كبيراً من النّصّين الأسبوعيين من نصوص التّوراة واللذان يحملان اسمَ "تَزْرِيعَ" و"مِصْرَاعَ". وتبعاً لتفسيراتهم فإن الـ"نصاراعات" كانت عقاباً لمعصيةٍ أكثر من كونها حالةً مَرَضِيَّةً، وهي تفسيراتٌ استندت إلى دليلٍ موجودٍ بين ثنايا التّوراة نفسها. فيدّ نبِيّ الله ورسوله موسى/ موسى أصابها البرصُ عندما بدأ يُشكّك في مدى رغبة واستعداد بني إسرائيل للإيمان برسالته، تبعاً لما تذكره الآيتان السادسة والسابعة من المقطع الرابع من سفر الخروج: "وقال له أدخل يدك إلى كمّك، فأدخلها ثم أخرجها، فإذا بها بيضاء كالثلج. فقال أردد يدك إلى كمّك، فأردها، ثم أخرجها، فعادت كسائر بدنه". كما أن النّبِيّة ميريّام/ مريم أصيبت بالبرص عندما اغتابت شقيقها موسى بحسب ما تذكر الآيات 1-15 من المقطع الثاني عشر من سفر العدد. بالتالي فإنّ مَنْ يوصّف بأنه "مِصْرَاعَ" (الشخصُ المُصابُ بالبرص) هو "موتسي شيم راع"، بمعنى الشخص الذي يتكلّم عن الآخريّن بازدراءٍ واستخفافٍ.

ومعصية "لَشون هاراع" في الديانة اليهودية (مُصطلحٌ يُقصدُ به الغيبةُ والنميمةُ ورَمِيِ الآخِرِينَ بِالْباطِلِ) يُصنّفُها كبارُ الحاخامات على أنها واحدة من أسوأ بل وأبشعِ المعاصي على الإطلاق، لدرجة أن الحاخام الكبير موسى/ موسى بن ميمون تحدّث عنها بهذا الوصف قائلاً:

وضّح كبارُ الحاخاماتِ بأنه توجدُ ثلاثة معاصي على وجه التحديد إن اقترفتها أحدٌ فإنه سيُعاقبُ في الحياة الدّنيا ولن يكون له نصيبٌ في الحياة الآخرة، وهي عبادة الأوثان والزنا وسفك الدماء، لكن معصية الغيبة والنميمة ورَمِيِ الناس بالباطل تُعادل في بشاعتها هذه المعاصي الثلاثة مُجمعةً. كما بيّنوا أيضاً بأنّ من يقترفُ هذه المعصية هو بمثابة الإنسان الذي يكفّرُ بالله ويُنكرُ وجوده. إنها معصيةٌ تقتلُ ثلاثة أشخاص: مُرتكبها،

ومَن أصغى لها، ومَن كان مَوْضوعَ حَدِيثِها، لكن من تَفَتِكُ به أكثر من أي شخصٍ آخر هو ذاك الذي يُصغى لها (تبعاً لما يذكره كتاب "هَلْخوت دِعوت" 7:3).

والسؤال الذي يطرحُ نفسه هُنا: هل هي بالفعل بهذا القَدَر من البشاعة؟ فلنأخذِ مثالين بسيطين من الأمثلة الزاخرة التي بإمكاننا جلبُها لإثبات ذلك ولنتفكرَ فيهما جيداً. المثال الأول يعود إلى القرن الثالث عشر للميلاد، حين نشبَ خِلافٌ مَريرٌ بين أتباع الحاخام موشيه بن ميمون وبين مُنتقديه ومُعارضيه، فمن وجهة نظر أتباعه فإن هذا الحاخام الجليل هو واحدٌ من أعظم المُفكرين اليهود عبر التاريخ. أما من وجهة نظر مُعارضيه فقد كان مُفكراً خَطيراً تحتوي أفكاره على الكُفر والهَرطقة، فقادَت أفكاره إلى تَخلي اليهود عن دينهم وتركهم لِتعاليم التوراة.

في الحقيقة كانت حالة الجدل بين الجانبين مُحْتدَّةً جداً لدرجة أن كل جانبٍ كان يَشجُبُ ويستنكر ما يقومُ به الجانب الآخر ويُقاطعُه مُقاطعة تامَّة، كما كانت هُناك منشوراتٌ وخُطبٌ دينية تُحرَّضُ على الآخر على كلا الجانبين، ولفترة زمنية ليست بالبسيطة كان اليهودُ في فرنسا وإسبانيا في حالة احتقانٍ تامٍ نتيجة هذا الاضطراب.

لاحقاً شهدت سنة 1232م إحراقَ كتبِ الحاخام موشيه بن ميمون على يد زُهبانٍ من أتباع المسيحية الدومينيكانية، فادَّت الصدمة التي أحدثها ذلك إلى تهديَّة الأجواء إلى حدٍ ما، لكن لاحقاً قام عددٌ من المتطرفين بتدنيس قبر الحاخام موشيه بن ميمون الموجود في طبريا. وخلال بداية أربعينيات القرن الثالث عشر، إثر محاكمة التلمود* في باريس سنة 1240م، قام المسيحيون بإحراقِ كلِّ نسخة عثروا عليها من كتاب التلمود، فكانَ هذا واحداً من أفظع الكوارث التي شهدتها القرون الوسطى.

لكن ما هي الصِّلَةُ بين الصراع اليهودي الداخلي وقيام المسيحيين بإحراقِ الكُتب؟ هل استغلَّ زُهبانُ المسيحية الدومينيكانية اتهامات اليهود للحاخام موشيه بن ميمون بالكُفر والهَرطقة لتدعيم اتهاماتهم الخاصة في حق اليهود؟ أم أن الموضوع ببساطة هو أنهم تمكَّنوا من استغلال حالة الانقسام اليهودي للاستمرار في اضطهادهم لليهود وهم مُطمئنون الجانب بأنه لن تكون هناك أي ردود فعلٍ انتقامية؟ بطريقةٍ أو بأخرى، وخلال فترة القرون الوسطى، فإن أسوأ أعمال الاضطهاد التي تعرَّض لها اليهود كانت تتمُّ إما بتحريضٍ من يهود تركوا الديانة اليهودية، أو نتيجةً لاستغلال الضعف الداخلي في المُجتمع اليهودي.

وبالانتقال إلى العصر الحديث فإنَّ واحداً من أعظم المُتحدِّثين باسم اليهودية الأرثوذكسية كان كبير حاخامات رومانيا، الحاخام مئير ليبوش بن ياحئيل ميخيل وايزر (1809م - 1879م). لقد كان هذا الحاخامُ عالماً مرموقاً تُعدُّ تفسيراته للتناخ** واحدة من أعظم الكنوز التي شهدها القرن التاسع عشر، كما كان موضع قبولٍ وإجماع من كافة الطوائف اليهودية كرجلٍ علمٍ ودينٍ في مُنتهى النزاهة والاستقامة. لكن ومع الأسف الشديد بدأ يكتشف اليهودُ "المُتعلِّمون المُنتورون" بأنه رجل دين تقليدي مُتصلِّبٌ في آرائه الدينية، مما تسبب لهم بنوع من خيبة الأمل، فبدأوا بتحريض السلطات المدنية المحلية عليه، وقاموا عبر الكُتبيات والمنشورات بتصويره على أنه شخصٌ رجعيٌ مُتخلِّفٌ قادمٌ من العصور الوسطى، وبأنه رجُلٌ يعارضُ التقدُّم والحداثة ويقفُ في وجهِ روحِ العصر.

* ملاحظة توضيحية من المترجم: التلمودُ (بالعبرية: תלמוד) هو النص المركزي لليهودية الحاخامية والمصدر الأول للشرعية الدينية اليهودية (الهلاخاه) واللاهوت اليهودي. يعود أصل كلمة تلمود إلى الجذر العبري (ل-م-د)، بمعنى تعلم ودرَس. يحتوي التلمود على التشريعات والروايات والحكايات الرمزية والأمثال والصلوات والقواعد الأخلاقية، إضافة إلى نقاشات فلسفية ودينية حول الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم كلا من النص المكتوب وهو التناخ، والروايات الشفهية الموجودة في المشناه والجَمَراه (الجَمَراه تضم النقاشات الحاخامية حول المشناه). يتكون التلمود من سبعة وثلاثين كتاباً. وتتكوَّن المشناه من ثلاثة وستين كتاباً تنقسم بدورها إلى ستة أجزاء تسمى "شداريم" باللغة العبرية. هناك نُسختان من التلمود: البابلي واليروشلمي (أي تلمود أرض يسرائيل)، حيث يوثقُ التلمود البابلي نقاشات الحاخامات الذين عاشوا في أرض بابل، واليروشلمي يوثقُ نقاشات الحاخامات الذين عاشوا في أرض يسرائيل، إلا أن التلمود البابلي هو الأكثر شيوعاً واستخداماً.

** ملاحظة توضيحية من المترجم: التناخ هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نفيثيم، كتوفيم" (أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سفر يوشع، وسفر القضاة وسفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني وسفر إشعياء وسفر إرميا وسفر حزقيال، وسفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمُّ الهاغوغرافيا، أي كُتب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمُّ أحد عشر كتاباً، وهي سفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر أيوب، وسفر روث (راعوث)، وسفر نشيد الإنشاد، وسفر الجامعة، وسفر مرثي إرميا، وسفر أستير، وسفر دانيال، وسفر عزرا ونحميا، والجزء الأخير من التناخ يضمُّ أسفار تدوين التاريخ. بالتالي يضمُّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سفرًا (كتاباً).

وفي يوم من الأيام خلال عيد البوريم اليهودي أرسلوا له هدية (تبادل الهدايا في هذا العيد هو عادة يهودية شائعة)، لكن الهدية كانت عبارة عن طرد طعامٍ يحتوي على لحم الخنزير وسلطعون البحر (والذي يُعتبر غير كوشر/كاشر، أي مُحرمًا وفق الديانة اليهودية) مُرفقًا بالرسالة التالية: "نتشرفُ باسمنا نحنُ اليهودُ المحلّيون التقديميون بتقديم هذه الأطباق الطيبة اللذيذة من مائدة طعامنا إلى حاخامنا المتنوّر". بنهاية المطاف، وردًا على هذه الحملة قامت الحكومة الرومانية بسحبِ اعترافها رسمياً بالمُجتمع اليهودي وبسحبِ الاعترافِ به ككبيرٍ لحاخامات اليهود ومنعه من إلقاء الخطب الدينية في الكنيس اليهودي الكبير هناك.

وفي يوم الجمعة الموافق الثامن عشر من شهر آذار/مارس سنة 1864م، حاصر رجال الشرطة بيته في الصباح الباكر ثم قاموا باعتقاله وزجّه في السجن. ومع غروب شمس الشبات (يوم السبت اليهودي) تم ترحيله عبر سفينة إلى الحدود البلغارية، حيث تم إطلاق سراحه هناك بشرط عدم العودة إلى رومانيا نهائيًا، وبهذه الكلمات تصفُ موسوعة *انسايكلوبيديا جودا/يكا* (Encyclopaedia Judaica) الحملة التي شُنّت ضده:

"لقد نشر السيد م. روزين وثائق مُختلفة كشفت النقاب عن التُّهم الباطلة والافتراءات التي تم تقديمها للحكومة الرومانية على يد أعداء الحاخام مثير والذين كانوا من دُعاة الانصهار اليهودي في المُجتمع الروماني. فقد اتهموه بعدم الولاء وبإعاقة عملية الانصهار الاجتماعي بين اليهود وغير اليهود، وذلك عبر إصراره على التمسك بقوانين الطعام والشراب المُحلّل تبعاً للشريعة اليهودية (قوانين الكوشر/كاشر باللغة العبرية)، فقالوا بأن "هذا الحاخام وعبر إدارته وحظرة للكثير من الأمور فإنه يضع العراقيل أمام تقدّمنا". ونتيجة لذلك أصدر رئيس الوزراء الروماني بيانًا ضد "هذا الحاخام الجاهل والسّفية"... الأمر الذي أدّى إلى رفضه منح اليهود في بوخارست أية حقوقٍ، مُعللاً ذلك بأن حاخام المُجتمع اليهودي كان ألدّ الأعداء للتقدّم".

وهناك قصص أخرى بإمكاننا أن نرويها عن عددٍ من علماء الدين اليهود البارزين، ومن ضمنهم الحاخام تسفي هيرش حيوت، والحاخام عزريئيل هلدسهامر، والحاخام يتسحاق رينز، وحتى الحاخام الراحل يوسف سولوفيتشيك – طيب الله ذكروه – والذي تم إحضاره للمحكمة في بوسطن سنة 1941 بعد أن تم تليفق اتهامات باطلة بحقه من قبل المُجتمع اليهودي هناك. وهذه الأحداث المُخزية هي غيضٌ من فيض الحرب الشرسة التي شتتها خصومُ الحركة اليهودية الحسيدية* والذين يُطلق عليهم لقب "متناجديم"، الذين أدوا إلى رَجّ قيادات الحركة الحسيدية (من ضمنهم حاخام حركة حَباد شنيور زلمان من ليادي) في السجون نتيجة شهادات مزوّرة أدلى بها يهودٌ أمام السلطات المحلية.

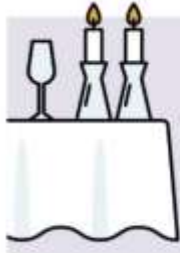
وكشعب يملك تاريخاً عظيماً فإننا نبدو غير آبهين أو مُكترئين بالدروس التي يُعلمنا إياها التاريخ بشكل يدعو للحيرة. فمرة تلو مرة نجدُ أنفسنا غير قادرين على حل صراعاتنا الذاتية بطرق مُتحصّرة وبكل رحابة صدر، فقام اليهودُ عبر تلك الأحداث بالافتراء على خصومهم من اليهود والتوجه للسلطات المدنية المحلية في تلك المُجتمعات، الأمر الذي أدى إلى عواقب كارثية على المُجتمعات اليهودية عموماً. لقد قاموا بهذا بالرغم من حقيقة أن اليهودية الحاخامية ككل هي ثقافة تقوم على أساس الجدل والنقاش، وبأن التلمود قال بصريح العبارة بأن المدرسة الفكرية المعروفة باسم مدرسة هليل قد لاقت قبولا وإشادة واسعة النطاق بسبب أسلوبها الراقى والمتواضع، ذلك لأنها كانت تعتبر أفكار معارضها بنفس مرتبة أفكارها الخاصة (بحسب ما يذكر باب عروفين 13- ب).

وبالرغم من هذا كله واصل اليهودُ حالة الشجب والاستنكار والمقاطعة لأولئك الذين لم يكونوا قادرين على فهم أفكارهم، بالرغم من أن الأشخاص الذين كانوا موضعاً لهجومهم (مثل الحاخام موشيه بن ميمون والحاخام مثير وغيرهم) كانوا من بين أعظم المدافعين عن اليهودية الأرثوذكسية في وجه التحديات الفكرية التي شهدتها عصرهم.

*ملاحظة توضيحية من المترجم: حركة دينية يهودية روحانية إحيائية أرثوذكسية ظهرت في أوروبا الشرقية (أوكرانيا) في القرن الثامن عشر على يد الحاخام يسرافيل بن اليعيزر والذي يُعرف باسم الحاخام تعال شيم توف. ويستند أتباع الحركة الحسيدية (أو الحسديون، وهي كلمة تعني الورعين أو الأتقياء) في تعاليمهم الدينية إلى الطريقة اليهودية الصوفية المعروفة بالقبالة وذلك بهدف إيجاد تجربة روحية بديلة ومباشرة للوصول إلى الله عز وجل من خلال الصلاة والتأمل وغيرها من الطقوس بإرشادٍ روحي من الرّبي (بمعنى القائد الروحي صاحب الكاريزما والتأثير). الحركة الحسيدية تعتبر بمثابة توجّه روحي بديل للتوجهات الدينية الرسمية والتعليمية لممارسة المُعتقد اليهودي والتي ظلت موجودة حتى ظهورها في تلك الفترة. وخلال أحداث المحرقة (الهولوكوست) كادت الحركة الحسيدية على وشك الاندثار، لكن العشرات من الفرّق الحسيدية لا زالت موجودة حتى يومنا هذا ويتركز وجودها في دولة إسرائيل والتجمعات المدنية في نيويورك.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو الذنب الذي اقترفه من قاموا بتلفيق الاتهامات لغيرهم؟ فقط الغيبة والنميمة ورمي الآخرين بالباطل. وما هو مكثون هذه التهمة؟ إنه مجرد كلام، لكنه ذو عواقب وخيمة بالطبع. وعبر إقصائهم واستخفافهم بخصوصهم، قام هؤلاء المدافعون الذين عَيَّنوا أنفسهم بنفسهم كمدافعين عن عقيدتهم بإقصاء أنفسهم وإقصاء مُعتقدتهم. لقد أعطوا انطباعاً لغير اليهود بأن اليهودية هي معتقدٌ يقوم على عقلية بسيطة ومحدودة وغير قادرة على التعامل مع التعقيدات التي تواجهها، بل وأنها ديانة عاجزة عن مواجهة التحديات، وبأنها ديانة الشتم والسب واللعن والمقاطعة بدلاً من النقاش والحوار العقلاني والمنطقي. في الحقيقة لقد تقبل الحاخام موشيه بن ميمون والحاخام مئير مصيرهما بكل صبر وذلك لئبليهما وحكمتهما، لكن رؤية تقاليد بهذا القدر من العظمة في هذه المكانة الوضيعة هو أمرٌ يُدعي الفؤاد بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

إن الجانب الذي كان مُذهلاً فعلاً هو رؤية الـ"تصارعات" – هذا المرض الذي يشوّه المُصاب به ومُحيطه – كرمزٍ وعرضٍ من أعراض الغيبة والنميمة ورمي الآخرين بالباطل، فنحن نُشوّه فعلاً حين نستخدم كلامنا لشجب الآخرين بدلاً من التواصل معهم، وحين نستخدم كلامنا لإغلاق العقول بدلاً من تشجيعها على الانفتاح، وحين نستخدم اللغة كسلاح ونشره تجاه الآخرين بمنتهى القسوة. بالتالي تظلّ العبرة التي يحملها الـ"مِصراع" موجودة وقائمة، لأن العنف اللفظي واللغوي لا يقل في بربريته وهمجيته عن العنف الجسدي، ومن يمارسونها بحق الآخرين هم أنفسهم سيعانون منها وسيدفعون ثمنها، فالكلمات والإهانات تجرح المرء، والغيبة والنميمة ورمي الآخرين بالباطل من شأنه ان يدمر مُجتمعاتٍ بأكملها. إن اللغة هي أعظم هبة من الله عز وجل للبشرية جمعاء، ويجب أن يتم الحفظ عليها وحراستها لتكون دواءً، لا داءً.



حول مائدة يوم السبت المقدس: أسئلة للتأمل

- 1- لماذا قد تكون "التصارعات" عقاباً مناسباً لـ"لشون هاراع" (الغيبة والنميمة ورمي الآخرين بالباطل)؟
- 2- لماذا برأيك ينجذب البشر لممارسة لشون هاراع بحق قادتهم أو حتى بحق غيرهم من البشر؟
- 3- برأيك كيف تعتبر اللغة "أعظم هبة من الله عز وجل للبشرية جمعاء"؟ وكيف يُمكن تسخيرها في سبيل الخير؟

• These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/tazria/the-plague-of-evil-speech/>

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University

